

تحليل قصيدة (كلمات "سبارتاكوس" الأخيرة) للشاعر أمل دنقل المقدمة : وفيها نتناول ملابسات ظهور الخطاب الشعري العربي المعاصر تارياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً ، والتي أنتجت خطاب تكسير البنية . إنه الشاعر أمل دنقل ؛ ولد في 23 يونيو 1940 بصعيد مصر ، انتقل إلى القاهرة بعد إتمامه الطور الثانوي من تعليمه ؛ ليتحقق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . كانت الكلمة الشعرية سلاحه الأدبي في مواجهته رداء الظرف التاريخي الذي عرف نكبة 1948 وهزيمة حزيران 1967 . إلى أن داهمه عدو لا تنفع معه الكلمات / داء السرطان الفتاك، فلم يمهله لتجاوز سن 43 من العمر ، فكان موته فقدان صوت يتميز بشهادته على عهد الترد والاحباط . من أبرز ما خلف للقراء ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامنة" ومنه أخذت القصيدة التي بين أيدينا.

العرض : خلاله نلاحظ على بنية القصيدة أنها خرقت النظم الشعري التقليدي (العمودي) بخروجها وتكسيرها للبنية النظمية النمطية . حيث لا تقييد بنظام الشطرين المتناظرتين ولا بروي موحد أو قافية كذلك . أما العنوان / عنبة النص فنجد أنه ترکيبياً - من المبتدأ وهو عبارة عن مضاد ومضاف إليه (كلمات سبارتاكس) والخبر جاء صفة (الأخيرة) ، - أما دلاليًا - فإن لفظة (كلمات) أنت لتدل على معنى مجازي يتجاوز دلالة المفردات المتداولة بشكل غير ذي سياق ؛ بل لها دلالة أعمق وأدق لما يتعلق السياق بصفة الإخبار (الأخيرة) وخصوصاً إذا ارتبط الموقف بكلمات أخيرة لإنسان / شخص سبارتاكس . وهي الدلالة التي تضمننا أمام شبهه (وصية) يتركها هذا الإنسان الذي أشرف على النهاية / الموت ، ويتأكد لنا مدلول الوصية من خلال صلب القصيدة وتحديداً في السطرين الشعريين (8 و 9) عندما يقول الشاعر : " لكنني أوصيك . إن شأ شنق الجميع / أن ترحم الشجر " . أما من حيث مضمون النص ومعجمه فهناك مؤشرات لفظية تمكنا من تقسيم القصيدة إلى ثلاثة مقاطع ؛ قد تسهل علينا فهم الخطاب العام للقصيدة وذلك كالتالي : أ - ففي المقطع الأول ما بين السطرين (1 و 6) يعكس الشاعر حالة مناداة صادرة عن صاحب الوصية ، وهو نداء موجه إلى أناس يعتبرهم إخوة له بحكم انتماهم إلى صفة / صفات منحني الرؤوس (العبيد) . وذلك وسط ميدان / ساحة من يتحكم في مصيرهم جميعاً ، يناديهم ليوجه إليهم دعوه الأخيرة كي يرفعوا هاماتهم ويفخروا بكونهم يمثلون فريقهم / صفات الراغبين في التحرر؛ حتى يواجهوا المصير بشجاعة وكراهة . ويستشهد بتجربة (سيزيف) الذي كان شخصاً صلباً عنيداً في مواجهة القدر / قدر العذابات التي كانت مقترنة بحمل الصخرة إلى قمة الجبل كما تخبر الأسطورة بذلك . ب - ثم نجد الشاعر في المقطع الثاني ما بين السطرين (7 و 18) يكرر النداء لكنه - هذه المرة - موجه للمعتدي وليس للمعتدى عليه / للجلاد لا للضحية ، وذلك بتوجيهه خطاباً إنسانياً يكشف تسلط الطاغية وعدوانيته . ويدعوه لاحترام تلك الوصية الواردة بين السطرين (8 و 9) . فالشاعر على لسان سبارتاكس يدعو جلاده إلى الاستجابة لمطلب الإنساني المتحضر ؛ لعله يثنى عن إعدام عناصر الحياة المتمثلة في (الشجر والجذوع والظلال) ، ويحذر القاتل الجاني بأنه سوف يحتاج يوماً ما إلى كل تلك العناصر عندما تقلب الأحوال فيصبح من الباحثين عن حماية أو مأوى فلا يجدهما في قفار البيد ، ما دامت الأشجار والظلال قد أعدمت بأمر منه لتنصب مشارقاً . وهكذا يضع الشاعر أمام هذا الطاغية صورة لردعه عساه يتراجع عن بطشه بالأبرياء . يقوم الشاعر بكل ذلك وهو يحاصر هذا المعتدي / القاتل بصفته السلطوية ؛ تلك الصفة المناقضة لكل ما هو إنساني تميز بالدفء العاطفي عندما يناديه " يا قيسر الصقعي " لفقدانه المشاعر النبيلة اتجاه أخيه الإنسان ، وتنجي هذه الميزة السلطوية في النص من خلال الإصرار على تكرارها (ثلاث مرات) . ت - وفي المقطع الثالث والأخير (ما بين السطرين 19 و 22) نجد شخص الضحية / سبارتاكس يعود لمناداة رفاق الصد / إخوته في المعاناة والقهر ؛ ليكشف أحوالهم المأساوية من خلال مشهد مأساوي يرصد وضعهم المهين . ثم في الختام يعلن رفضه تلك النزعة الانتظارية الواهمة التي يتبعها البعض وهو ينشد تغيير وضعية الاستبداد . فنسمع سبارتاكس ينذر أتباعه باستمرارية العبودية ما دامت الأحلام لا تجدي نفعاً ؛ وما دام زوال المعتدي أو موته لن يأتي إلا بمعتد جديد . وهكذا يتضح الطابع التحرريضي لوصية سبارتاكس / للخطاب الشعري لأمل دنقل ، النار ، الرحمة ، الجوع ، الظمآن ، الحلم ، الإنحناء وهناك حقل دال على الزمان (المساء ، الصيف ، الربيع) . غير أن الملاحظ على المعجم الدال على الذات / ذات الضحية نجده مهيمنا على النص بكامله (على لسان صاحب الوصية) وخلاله نجد الشاعر يتوارى خلف قناع ذلك الزعيم التاريخي (سبارتاكوس) ، وهكذا جاء الخطاب الشعري للنص متارجحاً ما بين الرغبة في التأثير بقصد إشراك المتلقى في غمرة الشعور الإنساني بذلك الوضع المأساوي ؛ وبين السعي لإقناع نفس المتلقى بفداحة الموقف العدواني من طرف المستبد / القاتل . وقد كان الشاعر يسلك - إلى جانب التأثير والإقناع - مسلك الترغيب والترهيب كما في الوحدة النظمية الدلالية التالية (الأسطر 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17) . وما يضفي لمسة تراثية على النص توظيف الشاعر بعض المحسنات اللفظية مثل (الربيع - الصيف / النار - الصقعي / الظلال - الهجير) ولكن ذلك التوظيف جاء في سياق منظومة شعرية وليس بصيغة البديع التقليدي .

فمن خلال ما يعرف بأسلوب المقابلة نجد الربع يقابل الشجر والجذوع والظلال ، ونجد الصيف في مقابل الصحراء والرمال والهجير والظلمأ (لتجلى ثنائية النعيم والشقاء) فهو يضع الجاني بين خيارين. وكأن القارئ (ة) أمام أحد مشاهد أفلام التاريخ القديم والتي تسجل فشل حركة تمرد ما أو ثورة لم تلبث أن انتهت بهزيمة المتمردين الساخطين . لقد أبدع الشاعر في هذا التصوير دونما حاجة إلى بعض التقنيات البلاغية التقليدية (كالتشبيه مثلاً) . ولنقرأ معاً قول أمل دنقل في المقطع الأول وهو يصور مشهد زعيم الثوار spartacus مصلوبا / بؤرة اللحظات المؤثرة في النص الى جانب نصب الجذوع مشانق ، حيث لم يستطع أتباعه من العبيد رفع رؤوسهم ليروه مصلوبا بعدما تجرأ على حمل السلاح في وجه سادات المجتمع الروماني وعلى رأسهم القيصر . وهناك مشهد آخر في الأسطر (14 ، 15 ، 16 ، 17) ؛ والذي يصور فيه دنقل حالة الطاغية وهو يتيه في البداء بدون مأوى أو ملجاً يحتمي به من قساوة القيظ ، فمثلاً نجد في السطر الأول التقطيع الآتي " يا إخوتل / لذين يع / برون فل / ميدان مط / رقين من / ". وإلى جانب الإيقاع الخارجي نجد تنوعاً آخر في الإيقاع الداخلي ؛ ونلاحظ ذلك بخصوص الروي (ما بين النون والباء والهاء والكاف والعين والراء واللام والدال) ، وهو ما يضمننا أمام تنوع آخر يتعلق باختلاف القوافي ، وهناك القافية المركبة كما هو الحال بين الأسطر (8 ، 11 ، 14 ، 13 ، 12 ، 12 / 13 ، 2 ، 21 / 20 ، 19 ، 8 ، 7 / 3 ، 9) . ومن مظاهر الإيقاع الداخلي كذلك ؛ تكرار بعض الحروف التي تشكل الأرواء ، وكذا تكرار بعض الألفاظ ذات الميزان الصرفي المتماثل مثل (مطرقين ، الضلوع / الربيع ، الصقiqu ، الظلال ، الرمال / سعيد ، جديد) وهو ما يعرف في البلاغة التقليدية بالسجع . العام ، أما الموقف الفكري من خلال التيمات المهيمنة في النص ؛ فيتجلى في التعبير عن إرادة التحرر باعتماد خطاب التحدى ، رغم أن التيمتين الملحوظتين في النص هما الانكسار / الخضوع (مطرقين ، منحدرين ، في انحاء) و القهر / الاستبداد (الموت ، الفنان ، القتل) . لكن موقف التمرد والتحدي والكبرباء يبدو من خلال (لاتخلوا / ولترفعوا عيونكم / رفعتم رؤوسكم مرة / لاتحلموا) . وهكذا يمكن إدراك الرؤية الشعرية التي يمكن رصدها من خلال مواقف الشاعر ؛ وذلك عبر فهم الرسالة الإبداعية التي تعكس النظرة الواقعية للصراع بين العبيد والأسياد والتي لم يعد صاحبها يقتنع بالأمانى الحالمة لجسم ذلك الصراع . . الخاتمة :